عن الفنان السوداني الراحل عثمان وقيع الله:

اسهم في بناء تحرير الخط العربي من قيوده الحرفية التقليدية واطلقه في فضاء التجريد الفني

ابراهيم درويش*

■ في بداية التسعينات حاولت اجراء مقابلة مع الفنان التشكيلي السوداني عثمان وقيع الله (1925 ـ 2007) الذي رحل بداية العام الحالي في بلدته رفاعة، وسط السودان، عن عمر يناهز الثمانين. التقيته في ساحة «بيت افريقيا» في وسط لندن. كان كعادة السودانيين متواضعا وحييا وتساءل عن حكمة اجراء المقابلة ونشرها، ولكنه قال لي انه مشغول للتحضير لمعرض كبير يقام عن افريقيا وثقافتها في لندن. ولم اجر المقابلة ولم التق بعثمان الا مرات قليلة وعابرة منها مناسبة لتكريم الشاعر السوداني المعروف صلاح احمد ابراهيم، بمناسبة صدور طبعة جديدة من ديوانه الذي رسم لوحاته عثمان وقيع الله، وقدم له الاديب والروائي المعروف الطيب صالح. حيث تم اخراج ديوان «غابة الابنوس» بحلة جديدة بعد ان كان صدر في الخمسينات من القرن الماضي. ويمثل وقيع الله علامة بارزة في الفن السوداني، الذي استلهم المفردات الاسلامية في الحياة السودانية والافريقية بشكل عام، واتقن حرفة الخط العربي حيث اخذ شهادة عن احد كبار الخطاطين في مصر، الفنان سيد احمد ابراهيم (توفي 1994) وذلك في معهد الخط العربي في القاهرة.

وكان وقيع الله، واحدا من رواد الفن التشكيلي السوداني، اسس مع عدد من رواده مفرداته وموضوعاته وتقنياته التي جربوا فيها عددا من الاشكال الادبية والفنية الغربية المعروفة، واعطوا فنهم الغربي التقنيات والتلوين، تيمات عربية واسلامية وافريقية، ومثل الادب السوداني الذي جسد في بداياته ذلك النزوع نحو التميز بلغة عربية افريقية اللون، لغة تتوزع بين الغابة والصحراء وتحاول الاستقلال عن المؤثر المصري الذي اثر على كتابات واعمال الرواد في الادب السوداني في مرحلة ما، ولكن تجربة مجلة الفجر، وظهور مدرسة الغابة والصحراء جاءت لتؤكد الهوية السودانية الخاصة، التي تتوزع بين ما اسماه الكاتب والمثقف الكيني المعروف علي مزروعي، التراث الثلاثي «الاسلام وافريقيا والثقافة الغربية»، ومن هنا ففن عثمان وقيع الله الذي تميز وعرف كثيرا في الغرب كفنان ينتمي الى ما صار يعرف في تقاليد الفن العربي الحديث، الحروفية، وهو الفن الذي يقوم بالتعامل مع الحرف العربي او الابجدية، كمادة او مفردة، رئيسية احيانا وثانوية في فضاء اللوحة، والبعض منهم يحاول تقديم رؤى فنية ونظرية عن تقنية ادخال الحرف العربي في اعمالهم. كما اظهر معرض اقيم في العام الماضي في المتحف البريطاني، حيث اظهر المعرض عددا من ملامح وتوجهات ادخال الكلمة في الفن واشار الى رواد هذا الفن، حيث بدأته الفنانة العراقية، مديحة عمر (اقامت اول معرض لها عام 1947 في واشنطن دي سي) التي تأثرت اثناء دراستها في امريكا بكتاب لاحد اساتذتها عن اللغات القديمة في وادي الرافدين، والمثير ان كل عمليات التجريب في الشعر والفن بدأت بدرجة او بأخرى على يد فنانين وشعراء عراقيين، في زمن كان فيه العراق يصنع الفن والحياة، واحيانا الفن والموت والان صار يصنع الموت والجثث والانتقام. مديحة عمر، وشاكر آل سعيد وفنانين عرب، من مختلف انحاء العالم العربي تداولوا ادخال الحرف والكلمة في اعمالهم متأثرين احيانا بما يجري في الغرب ومدارسه الفنية. يتنوع استخدام الحرف او الكلمة العربية في اعمال الفنانين العرب الذين اصبحوا يشكلون مدرسة تعرف احيانا بالمدرسة الخطية في الفن، بحسب الفنانة الاردنية الاميرة وجدان علي او الحروفية كما صارت تعرف الان، وهذه المدرسة تتناول الكلمة العربية بطريقة او باخرى كما قلنا، حيث ينوعون على اشكال الخط، ومعاني الكلمات وينهلون من بحور المعنى لاضافة ابعاد فنية وجمالية لمفردات اللون، وتظهر الكلمة احيانا وحيدة في فضاء لانهائي او تسبح في بحر من الالوان، او تؤكد سيادتها من خلال خطوط عريضة مرسومة بفرشاة غليظة. وفي الوقت الذي يرى فنانون عرب ان كل لوحة تحتوي على حروف او كلمات فهي لوحة خط، ولكن رواد هذا الفن يرون ان هناك فرقا بين الخط العربي كتكابة حرفية ذات اصول معروفة ومضبوطة وعلى الخطاط الالتزام بها ومواصلة تقاليدها التي تعود للعصور الاسلامية وما جرى عليها من تطويرات خاصة في الفترة المملوكية. الحروفية او الخط العربي في الفن هو تيار ليس محدودا في بلد او اقليم عربي بل يتوزع في كل انحاء العالم الاسلامي، ويستخدمه الفنانون لتأكيد ملامح خاصة في اعمالهم، لعل اهمها الهوية. والحقيقة ان تعداد اسماء فنانين يمثلون هذا التيار ليس لازما لان الفنانين المعاصرين والمحدثين في العالمين العربي والاسلامي استخدموا الكلمة بطريقة او بأخرى.

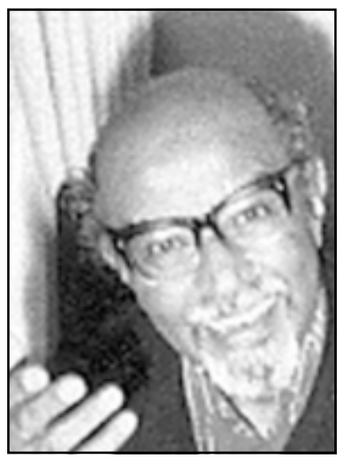

عثمان وقيع الله

وفي السودان، لاءم الحرف العربي الفنان السوداني الذي سعى للتميز، خاصة ان الكتابة هي اول ما يبدأه السوداني في حياته، يكتب على الرمل ويرسم الحروف على اللوح الخشبي في المدرسة القرآنية "الخلوة" حيث يقوم الطالب فيها وفي عمر مبكر باستخدام اداوت قديمة للكتابة وقراءة القرآن وحفظه وفي آخر اليوم يقوم بمسح اللوح ويتجمع حول نار القرآن التي لم تنطفئ في عدد من الخلوات منذ الف عام. ومن هنا يحلو للبعض الحديث عن "مدرسة الخرطوم" التي حاولت انشاء فن سوداني تقليدي، ويمثل مدرسة الخرطوم عدد من الفنانين الذين درسوا كلهم في المدارس الفنية الغربية ثم عادوا الى السودان قبل الاستقلال واكدوا تقاليد فن جديد يأخذ من كل ملامح الحياة السودانية، وبحسب بعض النقاد فالحروفية السودانية تحررت من تقاليد الخط العربي بحيث لم يعد لها صلة بفنون الارابيسك كما يظهر في اعمال احمد محمد شبرين وابراهيم الصلحي. وقيع الله تدرب كخطاط وتظهر اثار حرفية الخطاط في اعماله وان برزت تحمل هوية افريقية او سودانية اكثر من قربها للتقاليد العربية ولكن حرفية وقيع الله تبدو مختلفة، ونتاجا للتجريب الدائم، فهو لم يكن فنانا وخطاطا بل مصمما صمم اول عملة نقدية سودانية واول علم سوداني بعد الاستقلال، وقام بادخال المانشيت الصحافي الى الصحافة السودانية وصمم لوحات اعلانية وغيرها مما يعني انه تعامل مع الخط كمهنة وحرفة وعندما حضر للندن في الستينات واصل عمله الحرفي الخطي. انجاز وقيع الله الذي انهى دراساته في انكلترا وعاد في بداية الخمسينيات من القرن الماضي ونتيجة لتدريبه الفني الحديث بدأ ينظر الى اعماله الخطية من وجهة نظر معاصرة وقام بتحرير الخط من القوانين والقواعد التي اكدها اساتذة الخط العربي والتزموا بها عبر القرون، خاصة التأكيد على الزخرفية والتكرار في الموتيفات والاشكال. اهمية وقيع الله، الذي جرب الشعر والكتابة الصحافية ومارس الخط انه كان من رواد الحركة الفنية السودانية، من ناحية تأكيد تقاليدها التي تجذرت بحلول الستينات من القرن الماضي، فكان وقيع الله مع شفيق شوقي من اوائل الذين عملوا على تأسيس والاشراف على مدارس تعليم الفن التي بدأت اولا محلقة مع كلية غوردون التذكارية عام 1934 حيث انفصلت دائرة الفن والتصميم عنها لتصبح مدرسة التصميم، التي اصبحت جزءا من معهد الخرطوم التطبيقي الذي اعيدت تسميته الى مدرسة الفنون الجميلة والتطبيقية وهي المدرسة التي خرجت الجيل الاول المحترف من الفنانين السودانيين، والذين اضافوا لتجربتهم تدريبا ودراسة اكاديمية في مدارس الفن الحديثة في الغرب، وهؤلاء من امثال محمد عبدالله، وامير نور ومحجوب رباح وكمال اسحاق وابراهيم الصلحي واحمد شبرين، عادوا من دراستهم الفنية الى بلادهم واسهموا بخلق لغة فنية افريقية وسودانية، وحملت اعمالهم، خاصة وقيع الله والصلحي، حوارا داخليا.

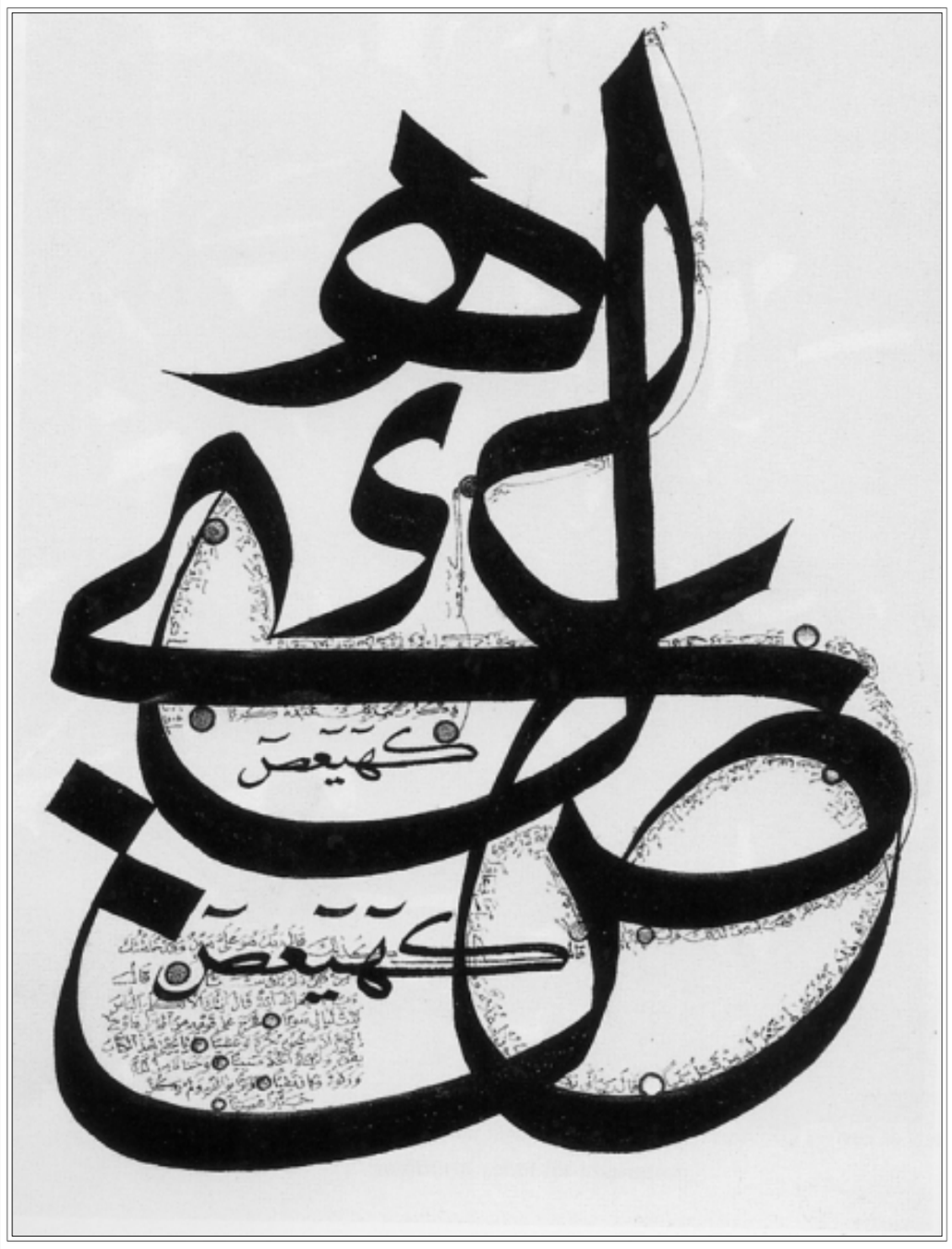

من اعمال الفنان

ولد الفنان في بلدة رفاعة وسط السودان عام 1925، درس الفنون في كلية غوردون التذكارية (اصبحت جامعة الخرطوم) (1942 ـ 1945)، ومدرسة الفنون الجميلة في نفس الكلية (1945 ـ 1946)، والتحق بمدرسة كامبرويل للفنون بلندن، وكلية سيتي آند تميلدز للفنون بلندن، ومعهد كورتو لتاريخ الفنون بلندن ، وكلية الفنون التطبيقية بالقاهرة (1950 ـ 1951). ويعتبر وقيع الله من مؤسسي كلية الفنون الجميلة في الخرطوم، حيث قام بتأسيسها مع شفيق شوقي، وعضو مؤسس في اتحاد الفنون الجميلة السوداني (1951)، وهو عضو رابطة الادباء السودانيين . واول من اسس مرسما حرا للفنانين السودانيين.

اقام معارض كثيرة منها معرض في الخرطوم 1952، وهاجر فيما بعد الى بريطانيا في اواخر الستينات، حيث بقي فيها حتى نهاية التسعينات ثم عاد الى السودان. جسد فن عثمان وقيع الله تاريخ السودان في الستين عاما الماضية وتحولاته في مرحلة ما بعد الاستقلال، حيث اختير لتصميم اول عملة سودانية. وقام بتصميم الشيكات ومعهد الدراسات المصرفية واللافتات التجارية والاعلامية، وصمم كل اوراق الاعتماد والاتفاقات التي عقدها السودان مع الدول الاخرى، وصمم شهادات وزارة التربية وبراءات الشرف، واختار اول علم للسودان بعد استقلاله. وكان قدم المانشيتات في الصحف السودانية، ورسوم الكاريكاتير في مجلة السودان الجديد، ولوحاته معروضة ضمن العديد من المقتنيات في المتاحف العالمية، المتحف البريطاني ومجموعة وفي استراليا والصين وعدد من المجموعات الشخصية. كان وقيع الله بالاضافة لانشغاله بالخط والرسم، قارئا ذواقة في الادب العربي، وله مجاميع شعرية خمسة في الشعر الصوفي لم ير احد منها النور.

ومثل بقية الفنانين الذين حاولوا استلهام الحرف العربي في لوحاتهم كان وقيع الله خطاطا وفنانا تشكيليا، مثل له الحرف صورة مائية تعكس فكرة وموقفا، ومن هنا لم يقتصر عثمان وقيع الله على كتابة الحرف القرآني، بل زاد عليه اشعار العرب والسودانيين، الفصيحة والعامية، فقد كان بالاضافة لاهتماماته الفنية التشكيلية مهتما بالاغاني الشعبية السودانية المعروفة بـ «الحقيبة»، وقام بترجمة رباعيات الخيام وتلحينها بناء على السلم الموسيقي السوداني، وقدم الجانب الصوفي في الشعر السوداني، باعتباره متصوفا، فقد اهتم بكتابة وتضمين اشعار الشاعر المعروف التيجاني يوسف بشير، ومحمد المهدي المجذوب وادريس جماع.

وكان يعد العدة بعد عودته للسودان لكي يقوم بعرض اعماله في معرض شامل، وكان ايضا يعمل على اعداد كتاب عن تاريخ واشكال الخط العربي في القديم والحديث. وترجم رباعيات الخيام ولحنها بناء على الاوزان والالحان السودانية. حياة عثمان وقيع الله مرتبطة بالريادة فهو رائد المدرسة التي كانت تدعو للعودة الى الخطوط العربية، وبالاضافة لهذا ساهم في تصميم الزخارف والخطوط في الكعبة الشريفة عندما جددت السعودية زخارفها. وخط بيده ثلاثة مصاحف، واشرف على «مصحف افريقيا». في لندن كان عثمان وقيع الله دائم اللقاء مع الاديب السوداني المعروف الطيب صالح، واقام علاقة مع الشاعر العراقي بلند الحيدري الذي كتب بعض المقطوعات النقدية تثمن اعمال وقيع الله. ولوحته عن «كهيعص» مفتتح سورة «مريم» من مقتنيات المتحف البريطاني.

* ناقد من اسرة «القدس العربي»

تداعيات

ماذا أفعل؟ أكتب بكثافة !

نصر جميل شعث*

■ ذات يوم، عندما سئلتُ: ماذا أفعل ؟ في عزلتي، أجبتُ: (أنا أكتبُ ـ الآنَ ـ بكثافة). إنه بالإمكان التصرّف في هذه الإجابة على النحو الذي لا يجعل ممكناً التلاعب في البنية، فلا يمكن أمام هذا التوصيل الحيّ تحريك يد التأويل، بغية إحداث أيّ انقطاع. الإجابة واضحة، وجلية، حد أنها تعليمية وميتافيزيقية، على أكثر من وجه. وكما لو أنّ العبارة مثالٌ يتلقاه تلميذ في مرحلته الأساسية، عن الضمائر وأنواعها. وكما لو أن تلميذاً يتدرّب على كتابة (أنا) ؛ على شكل أعمدة تبدو، في الصفحة، منظمةً ورائعة. ولو قيّض للتلميذ أن يكون له زميلٌ تفكيكي، لما راقت للزميل هذه الأعمدة المنظمة والرائعة. لكنّ عبور التأمل على البنية الشفافة لا يقف بثقله في المرحلة الأساسية، كأستاذ فلسفة الماني. هذا إذا علمنا أنّ التلقين شكلٌ من أشكال تعلّم العلم والدين، الذي يُجهز على التأمّل في كلّ مراحل التعلّم. وتجاوزاً لمسائل التعلّم والتلقّي، ولأبعاد العناية بتكرار تدوين الأنا كأساس للمعرفة، أو ترددها على نحو نرجسي، فإنّ عبور التأمل على بنية الإجابة، يكشف عن عمق، ليس لمدّ يد التأويل فيه، وإنما لجعل الاقتصاد هو الميزة التي تنقذ الإجابةَ من التضخّم. لذا، فبالإمكان ادخار (أنا) في (أكتب). ولو أننا قلنا إفراغها لبدا لنا التصوّر كما لو أن شكلاً من أشكال الهندسة، رُسم، على نحو مثاليّ، ولكن على التراب. إنّ ادخار (أنا)، يعنى في الوقت ذاته، استثمار العمق، أي تأسيس الكينونة في الكتابة. إنّ الحديث عن العمق، هو من قبيل استعارة الفلسفة، إذا ما تم إبدال الادخار بالاختزال، في هذه الحالة. إنني إذ أختزل (أنا) أو أفرغها في (أكتب) أحسم ذلك بالقول : إن الكينونة سابقة على الكتابة، ولكنها لا تكون إلا مع الكتابة. هذا الشيء ليس هو الرفع، أو الحفظ. إنّ ذلك المصير الحاصل للـ(أنا) لا يشير إلى العملية الفلسفية : المختلف في المؤتلف، بقدر ما هو لا اختلاف على إيداع الأنا في الكتابة. غير أنّ عملية الاختزال، هذه، تنزاح عن كونها إرادةً تقدّمُ الكتابةَ على الكلام. إنّ النرجسية تتكلّم في الفعل (أكتب) الحاضر في الإرادة والمتلئ في (الآنَ) ! وهذه الأخيرة زائدة، وحين نقتنع أنها حاضرة في (أكتب)، فينبغي الاستغناء عن ظهورها. إنّ مُساءلة الاقتصاد لبنية العبارة استند، بالأساس، على اكتشاف العمق بالتأمل الذي يقود، حتى هذه اللحظة، إلى مَسائل تُعدّ جدّ جوهرية داخل الفلسفة، التي تعالج مثل هذه المسائل من منظورات مختلفة. فما دعوناه بالادخار والاستثمار، وأزحناه بالاختزال وتأسيس العمق، أي ملئه، تدعوه فلسفات راسخة مرّة بـ«النفي» بمعنى: «المحو»، ومرة بـ«قيد الشطب»، ومرّة بـ«الانسحاب» أو «التخفي». «النفي»، أو «المحو»، ليس هو «قيد الشطب». فالأول من صميم أعمال الفينومينولوجي هوسرل الشكاك الذي لا يؤمن، أساساً، بوجود الأشياء والعقول، العالم الخارجي، إلا استناداً لوعيه الإرادي، الداخلي، هذا ما يدعونا إلى أن نفهم بأن الشك والمحو والنفي، لدى هذا الاستدلالي العقلي، أبعد ما يكون عن الحسي، التجريبي. في الأخير يعمل التفكيك بإرادة القوة، فيجعل «قيد الشطب» كل ما يشير إلى ميتافيزيقا الحضور. وعند هايدغر الانسحاب ليس لا شيء، إنه هنا حصول بقدر ما هو احتفاظ بالذات، فما ينسحب يعني أمره الإنسان ويهمه بطريقة جدّ جوهرية. كما يدعوه بشكل أكثر حميمية مما يفعل ذلك أي شيء حاضر يقبض عليه ويستفزه. إن الاستفزاز الواقعي لنا يعتبر دعامة أساسية في بناء الواقع، لكن عملية استفزاز الواقعي للإنسان، يمكنها أن تفصله، بطريقة لا شك أنها ملغزة، عما يعنيه ويقترب منه. فالكينونة (الوجود) ملغزة، لأنها غير قابلة للنفاد، وهي كذلك لأنها تحتفظ دائما بأكثر مما تظهر. ومهما يكن، فإن هذا الحديث يجعل القول: إنّه بقدر ما تتعرض الـ (أنا) لدقة اختلاف المفاهيم السابقة، بقدر ما تستمد وتحتفظ حضورها، وحقّ التعويض والعودة، الآن. وهذه (الآن) تحضر، لا بصفتها المماثلة للفعل (أكتب)، من حيث هي حاضر وتأكيد الكينونة، وإنما من حيث هي اختزال للتماثلات : الوضع الراهن، اللحظة الراهنة، الفترة الحالية، الظرف الواقعي ...، ويجب ألا نفهم وحسب مقولات حق التعويض والعودة، والتماثلات السابقة، فهماً سياسياً، وإن كان هذا الفهم يعني ما تعنيه أنا وجودية، و ذات إبداعية ومفكّرة، تتعرّض ـ الآن ـ لابتزاز وقح.

وتجاوزاً لما سبق، وبوعي إنساني أكبر، فإنّ (الآن) تمتصّ وتكبت التفاؤلَ فيما داخلها سلسلة تماثلات واختلافات. تواجه الذات الكلية، الذات البشرية، المحتواة، المتورّطة والمستفزة . إنّ الراهن هو كثافة النصّ، هو كتلة النص التي تملأ العمق البشريّ. وإذن، فسلسلة التماثلات والاختلافات المختزلة تُحرّض على عمل عدد من التقديمات : الكتابة على الكلام، الموضوع على الذات، الحدث على البنّية، الخارج على الداخل. كلّ تقديم سابق هو تسمية ووصف للحياة. ولو أنّنا ننظر، على سبيل التقديم، للموت كضرورة تغيير، لما احتجنا، حقاً، كلّ هذه الحياة. الحياة هي أن يفارق وعيك أيّ تصوّر للمفاهيم والمثل والقيم والأخلاق والحقيقة و الحرية. الموت وحده هو النرجسيّ، الحقيقيّ، والثابت العملي الذي يرتبك أمامه الآخر. إنّ الموت يتكلّم ـ الآن ـ بصفته (أنا)، تتوجّه بوعي إراديّ إلى (الآخر)، النحن. وأما (أنا) كذات بشرية، أكتب بكثافة، فيما أنظر للموت بصفته (آخر). كذلك للحياة التي تتلهى باللعب والعدمية وعدم الفهم، السخرية والماسوشية والسادية والتأويل كتخبّط وانتقام. فالتفكيك، إذن، حيّ ومميت. يتعمّد الاختلاق واحتراف إساءة الفهم، وهو منحرف شاذ عن الطبيعة. إن الكتابة منذ وُجدت هي، من أجل التعويض والتوازن، في مواجهة الموت، ولكنها ـ الآن ـ إساءة للحياة، وتماماً، كما تسيء الصحافة للحقيقة. ماذا أفعل ؟ أكتب بكثافة ! أنا إذن، أفكك أناي وآخري، وأوصي بوصفي بالتفكيكي الخالد السعيد!

* شاعر من فلسطين

حنتوش العراق العالمي

علي حسين عبيد*

■ هو شاعر عراقي عالمي .. أمه الديوانية وأبوه العراق .. سلالته الكون .. الشعر حليبه البار والكلمة غنوته حين يغفو في حضن الدغارة مهده الوثير .. جسده قدٌ من طين الله .. قلبه جُبل من بردي الشطرة .. ودمه ترشّح من دهلة الفرات .. شعره الحنّائي يذكرني بحنان أمي وطيبة جدي ومغزل جدتي وشعره ينسبني قسرا الى جذوري السومرية .. مَلامح وجهه العراقية تجعلني أنام مطمئنا في العراء وإن كانت الضباع تدور حولي .. وعيناه الوديعتان تؤكدان ان صهيل الجنوب مازال كما هو هادئا مصداحا .. ضحكته تشبه كثيرا زقزقة العصافير المطمئنة الفرحانة .. فمه المزموم يقول لي بأن الكلام اذا لم يكن شعرا فلا تدعه يفرّ من بين شفتيك .. وكفه التي تشبه كفوف القطط الرقيقة الناحلة لها لمسة أنامل الاطفال ولغة المواء المسالم .. ذراعه اليمنى فتكت بظهور الورق .. وساقه اليسرى قصبة يافعة من بردي الهور جذرها راسخ بطين العراق وفرعها مشرئب نحو سماء الله .. أما كلّه .. يا إلهي .. انه يذكرني بالعراق الذي لا يتشظى والفرات الذي لا ينضب والنخيل الذي لا يموت .. فدمه زلال دجلة وقلبه بغداد الهوى والسلام وقلمه نخلة ترعاها روح العراق.

الكلمة سماؤه التي كانت وما زالت تظلل رأسه في الرمضاء وتحصنه من قرصة الهجير .. والدّعةُ صورته التي يطل بها على نفسه والآخرين .. والجمال الروحي ليله السرمدي المحلّى بالاقمار والنجوم الشعرية الخالدة .. خمرة البراءة دستوره عندما يتسيد الارض قانون الغاب.

عندما يضحك حنتوش .. يضحك الشعر كله.. وعندما يبكي .. تبكي عيون العراق .. عندما يفرح حنتوش سيفرح أطفال العالم وعندما يحزن تحزن ملائكة السماء .. عندما يبدع حنتوش شعرا يخجل منه الشعر ويحسده الشعراء .. وعندما يغني يتسامى في حضرة روحه الغناء .. عندما يغضب حنتوش ينطفئ وجهه كانطفاء الشمس وذبولها وعندما يهدأ يشع ويقوى كأنه قمر أوحد في ليل شتاء ..

ينادمه كلّ مساء جان دمو وعقيل علي وحسن النواب ونصيف الناصري وهادي السيد ورعد عبد القادر وعبد اللطيف الراشد وأحمد آدم وماجد عدام وماجد موجد وجاسم كماش ورسمية محيبس زاير وعلاوي كاظم كشيش وفاضل عزيز فرمان ونجاة عبدالله وعلي حسين عبيد وكل الادباء الأشقياء ..

تسألني عنه أرصفة الحب في ساحة الأندلس وحشائش الجمال في حديقة الأمة ومقاعد سينما سندباد في حبيبته بغداد.

انه الشاعر الأشعر والغني الأفقر والصديق الأكبر والوفي الأبرر والحصاد الأخضر والنقاء الأكثر والجمال الأخطر والبراع الأبحر والبريق الأوفر والدقيق الأسمر والعقيق العنبر والسلام الأجدر والبهاء الأندر والسرور الأحبر والحقيقي الأبهر والرفيق الأحمر..

لشعره تنحني بردية الجبايش ورمانة ديالى وتينة هولير، وله تصفق شمس العراق في شروقها وغروبها، ومنه يأخذ الحبُ العراقي طعمه ولونه وعطره وصوته.

لضحكته يضحك حزن العراق .. لدمعته يحزن طفل العراق .. لكلمته تصغي الناس صغارا كبارا .. ولهمسته تزدهي الاشجار اخضرارا ..

هو الذي في ضمير الشعر باق
وفي عيون الشعب باق
فمرحى والف مرحى بحنتوش العراق.

* قاص عراقي مقيم في المغرب

هامش:

** كزار حنتوش شاعر عالمي يعيش في الديوانية: هذا الوصف اطلقه الاستاذ الدكتور «كاظم البديري صاحب اضخم موسوعة في العراق والوطن العربي قد تنشر بعد وفاته ان شاء الله حسب وصف الدكتور» علي الوردي

في دار الجمعيات بالسليمانية بالمدينة العتيقة بتونس:

تراث مدينة تونس ضمن مقاربات لباحثين من تونس وفرنسا وكندا والبرتغال

تونس ـ «القدس العربي» ـ من شمس الدين العوني:

ضمن أنشطتها الثقافية والعلمية، حرصت دار الجمعيات بالسليمانية على اقامة عدد من الفعاليات التي تبرز عراقة التراث التونسي في امتداداته الثقافية والانسانية والطبية والعلمية حيث شهدت عددا من الندوات العلمية حول الموسيقى والعلاج والتداوي بالاعشاب والاسواق العتيقة في مدينة تونس ودورها الحضاري والمدينة في عيون الرحالة خلال القرون الماضية...

وفي هذا الاطار وبالتعاون مع مخبر التراث بجامعة منوبة ووزارة التعليم العالي احتضنت دار الجمعيات ندوة ثقافية علمية حول تراث مدينة تونس من خلال مقاربات متعددة ورؤى متجددة واشرف على اعمالها ونسقها الاستاذ عبد الحميد الارقش مدير مخبر التراث بكلية الآداب والفنون والانسانيات بمنوبة.

وقد تعددت المشاركات العربية والدولية منها مداخلة الاستاذ جلال عبد الكافي بعنوان تونس رؤية جديدة ومداخلة الاستاذ جون دافلون من جامعة أفينيون بعنوان المدينة ومسار الاورثة ومداخلة الاستاذة كاترين ساوتر من جامعة الكيباك بمونتريال بعنوان صورة المدينة والمدينة من خلال الصورة ومداخلة الاستاذة هيلينا سانتوس من جامعة بورتو حول التراث وسياسة المدينة ومداخلة الاستاذ برنارد شيل من جامعة الكيباك بعنوان التواصل في مجال التراث ومداخلة الاستاذ احمد السعداوي من جامعة منوبة بعنوان المدينة في مرآة معالمها ومحاضرة الاستاذ عبد الحميد الارقش بعنوان المدينة وتجديد الرؤية.

هذا الى جانب مداخلات اخرى قدمها لوشيان من جامعة أفينيون ومحاضرة الاستاذ صالح زروالة من جامعة الجزائر حول المدينة والعمارة ومحاضرة الاستاذ لطفي عيسى حول التاريخ المقدس لمدينة تونس.

وقد أقيمت على هامش الفعاليات معارض حول المدينة من خلال الصور الفوتوغرافية بعنوان «اطلالة على المدينة» وانتظمت ورشات حول محور الندوة كما قدم الفنان كمال النموشي عرضا موسيقيا بعنوان جذور.

الاستاذ جلال عبد الكافي اهتم في مداخلته بما يعتمل في المدينة من ذاكرة وما تحيل اليه من خصوصيات وتفاعلات ثقافية واقتصادية على غرار السياحة في حين ذكر جون دافلون جانبا من خصائص المدينة ضمن ابعادها النمائية والمكانية والمعمارية وخصوصا ما تحمله من إرث تاريخي وثراء تراثي عبر المعالم المختلفة وانتهى في مداخلته الى طرح اسئلة تتعلق بالطرح التوثيقي للتراث حين يتعلق الامر بالمدينة وذاكرتها ومختلف المستجدات الطارئة على المعمار والوظائف والمعالم.

ومن منطلق الاسئلة الخاصة بماهية المدينة والتعريفات المختلفة قدمت الباحثة كاترين ساوتر من الكيباك افكارا حول هوية المدينة من خلال الفنون التي تتعاطى معها كالفن التشكيلي والفسيفساء والوثائق البصرية وما من شأنه ان يفعّل الصورة الدالة على المدينة بما تختزنه من ارث وثقافة ومعمار.. وقدم احمد السعداوي من خلال الصورة والوثيقة، جانبا من المدينة عبر مختلف معالمها، وابرز الاستاذ السعداوي مختلف الفترات التاريخية التي مرت بها المدينة وما خلفته من منجزات مثل المعالم والاسواق والجوامع.

الاستاذ برنارد شيل اهتم بالبحث في دلالات التراث ضمن مداخلة بعنوان التواصل في مجال التراث وذكر ان التراث يظل دلالة من دلالات الحياة ورموزها واكد على أهمية حفظه من التلاشي وخلص للقول ان التراث مثّل رواية تحفظ الذاكرة في ادق المراحل والخصوصيات لتظل شاهدة في هذه الحياة على التحولات والميزات والمنجزات وهو ايضا حاضن وعي وهوية...

وقد أثارت هذه المداخلات وغيرها جانبا من الملاحظات والاسئلة والجدل باعتبار ما يمثله الموضوع على صلة بالمدينة والتراث من اهمية لدى المهتمين من باحثين وطلبة وايضا متساكنين، فالمدينة العتيقة بتونس شهدت تحولات عبر مختلف الازمنة مما جعل منها شاهدة على التحولات الاجتماعية والثقافية والانسانية فهناك عديد العائلات التي ظلت على علاقاتها الحميمية بالمدينة من خلال الاقامة والسياحة وزيارة المعالم فضلا عن مختلف القيم التي تستبطنها هذه المدينة من ذلك ما تمثله من جماليات مكانية عند انتظام فعاليات مهرجان المدينة او حتى اقامة العروض الثقافية في فضاءات مثل بئر الاحجار والعاشورية ودار الاصرم وبيت الشعر (دار الجزيري) ودار حسين والنادي الثقافي الطاهر الحداد... وغيرها.

الورشات المقامة في هذه الندوة جمعت باحثين من مختلف الجامعات للمشاركة حيث تم الاهتمام بالتراث من خلال الابعاد الشعبية والتاريخية لحي من احياء المدينة وفي هذه الورشات اهتم المشاركون بالحومة كفضاء وظيفي وشفرة ثقافية في نظرة المواطن الساكن لتراثه فضلا عن اهمية الحرف والصناعات التقليدية بخصوص الفلكلور والفنون التي تنتجها مثل هذه الاحياء بالمدينة العتيقة.

واهتمت الباحثة صلوحة الاينوبلي ضمن الورشات ببحث حول المحلات الموجودة بالمدينة العتيقة وتحديدا بسوق البلاط والتي تختص ببيع الاعشاب الطبية وذلك ضمن استجوابات احصائية وعلمية بخصوص هذه المهنة التقليدية التي توارثها الابناء عن الآباء والاجداد ومن حيث طبيعتها ومتعاطيها والحركية الاقتصادية التي تضفيها على المدينة.

هذا وقد نجحت هذه الندوة في رصد اهم الخصائص التراثية في المدينة العتيقة من خلال الرؤى المختلفة والمتقاطعة حيث برز التراث كمعطى ثقافي حضاري انساني مثلت المدينة العتيقة احد تمظهراته المعمارية والثقافية والانسانية.